

فصربت يداً بيداً بحركة اغتصابية فسألني ديجنه :
ما هذا ؟

فقلت : لو كنت رساماً ولاح لي أن أصور
السامة والضجر لما كنت أرسم روضها فتاة
مستغرقة في التفكير وفي يدها كتاب
فقال : هل تكيد لأحد هذا المساء ؟

ولم تستوقفني ابتسامته فقلت : إن هذه المجذلية
الغارقة بدموعها لم يزل صدرها ناهداً بالأمل ، وبدها
الناحلة التي تسند إليها رأساً لم تزل تعبق بالعطار
الذي سكبته على قدمي المسيح ، وهذه الصحراء
وما حولها آهلة بأشباح أفكار تنجيه بالصلاة إلى الله
فقل لي أهذا هو روض السامة والضجر ؟

فقال بصوت لا أثر للشعور فيه : ليس هنا
إلا امرأة تطالع كتاباً
فقلت : ولكن هذه المرأة سميدة والكتاب
الذي تطالعه جليل

وأدرك ديجنه ما أرى إليه ، وأنا مستسلم
للأسى ، فسألني عما ألم بي ، ولكنني ترددت في
الجواب فكان يداً ربهط على قلبي

وبعد صمت قصير قال ديجنه : إذا كان هنالك
ما يؤلمك فلا تكتمه عني وأنت تعلم أنني لك خير
صديق

فقلت : أعلم أن لي صديقاً ولكن آلامي
لا صديق لها

وأخ على فقلت : إذا أعربت لك عما يخالجي
فما بفيدك ذلك وأنت عاجز عن تفريج كربتي وأنا
أعجز منك . أفتريد سبر أعماق سريرتي ، أم أنت
تطلب كلمة أنتحل لك فيها الأعداء ؟



اعترافاتي في العصر

لألفريد رى سوسيه

بقلبي الأستاز فليكن رسماً

الفصل الخامس

و كنت وديجنه جالسين ذات مساء قرب الموقد
والنافذة مفتوحة ، إذ كنا في أوائل مارس ، وقد
انقطع مطر النهار ، فهبت علينا من الحديقة طلائع
عبقات الربيع

وقلت لديجنه : ماذا تريد أن تفعل في الربيع
فأني أشعر بحاجة إلى السفر ؟

قال : سأفعل ما فعلته السنة الماضية ، فأذهب
إلى الضاحية عند ما يحين الزمان

فقلت : أفتريد أن تسير في كل سنة على وتيرة
واحدة

فقال : وماذا تريد أن أفعل ؟

فنهضت فجأة وصحت به : أجل ، قلت حقاً
يا ديجنه ... فأنا قد تعبت من كل هذا ، أفأملك
أنت هذه الحياة ؟

فأجاب : كلا !

و كنت واقفاً أمام رسم المجذلية في الصحراء

فقال : كُنْ حَرًّا الضمير

فقلت : اسمع إذا ... لقد بذلت نصحتك لي فيما

مضى ، فاصغ الى الآن كما أصغيت حينئذ إليك

قف أمام أى رجل كان وقل له إن في الحياة
ألماساً يمشون أيامهم في احتشاء الخمر وركوب الخيل
والضحك واللعب واغتنام فرص اللذات بأنواعها ،
فلا شيء يحول دون مضيقهم على السبيل الذي اختاروه
لأن شربهم تقوم على استحسانهم ، ولهم من
يشاؤون من النساء لأنهم أغنياء ، ولهم لهم ، فكل
أيامهم أعياد

فإذا لم يكن هذا الرجل الذى تخاطبه من أهل
الورع والتقى فانه ليقول لك إن هذه الحياة نهاية
ما يتصوره الانسان من سعادة على الأرض

خذ بهذا الرجل واقذف به الى هذه الحياة التى
وصفت ، أجلسه الى مائدة قرب امرأة وضع كأساً
في يده وانفجه كل صباح ببذرة من الذهب وقل
له : هذه هى حياتك : بينما تكون ناعماً الى جنب
عشيقتك تكون خيولك تحفش على مرابطها ، وبينما
تكون ممتطياً جوادك بقرع المتزهات بحوافره ،
يكون شرابك يغلى مختمرآ في دنانه . وبينما تحبى
ليلك شارباً ثملاً ، يكون أرباب المصارف يعملون
على إتمام ثروتك . فاعليك إلا إبداء رغباتك لتتقلب
أمانيتك حقائق . أنت أسعد الناس ولكن حذار
أن تغرط في الشرب في ليلة من لياليك ، فتجد
جسدك بعيداً عن تذوق لذاتك لأن كل مصيبة
تجد عزاءها ما عدا هذه المصيبة الدهماء . لقد يكبو
جوادك في الغاب وأنت تلهو بالطراد مع رفاقك
فتندهور الى مستنقع ، وإذا تستغيث لا يصل صوتك
الى آذان هؤلاء الصحاب وقد أصمهم السكر وجلبة

الجبور . حذار أن يمروا بك دون أن يعثروا عليك
فيتوارون عنك وأنت تزحف بأعضائك المحطمة
تحت جنح الليل

لا بد أن تخسر بالمقامرة في ليلة من لياليك
فللحظ ساعته السوداء ، فإذا ما عدت إلى منزلك
لتجلس أمام موقدك ، حذار أن تضرب جبينك
بيدك وأن تدع الأسمى يبلل أجفانك ، وأن تدير
لحاظك مفتشاً عن صديق . إحذر بحاسة ألا يجمع
بك خيالك الى كوخ ينام فيه زوجان على فراش
الطمانينة وقد اشتبكت أنامل أحدهما بأنامل الآخر
حتى في الرقاد . لأنك ان ترى أمامك على فراشك
الفخم الوثير من تسر إليه نجواك سوى المخلوقة
الشاحبة التى تتمشق دنائرك ، وإذا ما لجأت إليها
لتشرح صدرك فإن يخفى عليها أمرك وسبب حزنك
إنها لتشعر بفداحة خسارتك فتذهب دموعك مثيرة
في قلبها الشجون ، لأنها ستشعر من دموعك هذه
بخطر يهدد ثوبها بالألا يتجدد والحوائم التى تلمع في
أناملها بأن تسقط منها

حذار ، يا هذا ، أن تفوه أمامها باسم من ربح
مالك هذا المساء فاقدر تنقيته هى غداً وترسل إليه
لحظات الأغواء من خلال ما يحوطك من خرائب
وأطلال

ذلك هو الضعف البشرى ، أبها الرجل ، فهل
لك من قوة تحتمل مثل هذا الضعف ؟
إذا كنت رجلاً فاحذر السامة ، إنها لداء
عياء ، واليت خير من حى سئم الحياة

إحذر الحب إذا كان لك قلب لأن الحب عار
الفاستق ، وخير لهم أن يصابوا بأى داء من أن
يصبحوا مهزلة في أعين أمثالهم المقدرين لكل خايلة

عنك بما في أحشائها من حياة فتذكرك ، حتى الأشجار
الباسقة وأماليد الغاب

لقد خرقت شريعة أمك فأذكرك كل رضيع
من إخوتك في الحياة

إحذر غضب الله ، أيها المنفرد ، لأنك تنتهب
أمام وجهه الكريم متحجراً كالصنم على قاء-دة
إرادتك المنعردة فما تغدق السماء عليك رشاشها إلا
لتفت من أعضائك وتذنب هيكلك ، وماهب الهواء
عليك لينفجحك بقبلة الحياة وهي قبلة التوحيد بين
جميع الأحياء ، بل بعصف عليك عصفاً يهزك
ويقوضك تقويضاً . إن كل امرأة تضعها إليك
ستجذب شرارة من قوتك دون أن تبادلك شرارة
من قوتها . فما أنت إلا حقيقة تتراعى منها السكة على
أشباح وحيث تسقط نقطة من عرق جبينك تنبت
شجرة من مظلمات القبور

مت ، فما أنت إلا عدو لكل من يحب ولاكل
ما يحب ... إن قبض على ذاتك في عزائك وانفرادك
ولا تتوقع أن تبلغ نهاية عمرك ، إذهب ولا تبق
منك على الأرض نسلا تسبق في الحياة دماً من
دمك الفسود

تبدد كالدهان ولا تحرم بظلك حبة القمح
الناطقة من نور الشمس . »

وما انتهيت من هذا الخطاب حتى استلقيت
على المقعد وقطرات الدموع تتساقط من عيني ، وأنا
أعول قائلاً : أليس هذا ما قلته لي أنت يا ديجنه ؟
أفأ كنت تعرف هذا من قبل ؟ وإذا كنت عرفت
فلماذا لم تتكلم

وكان ديجنه مشبكاً أنامله ، وقد علتة صفرة

ثمناً . وليس المرأة التي تبيع نفسها أن تحتقر أحداً
إلا الرجل الذي يحبها ...

إذا ما شمعت بالحب يحتاج قلبك فاحذر أن
ينم وجهك عليه ... فما يتخلى عن درعه إلا الجندي
الجبان . وعلى الفاسق ألا يظهر تعلقه بشيء
لأن ظفوره قائم على أن لا يمس شيئاً إلا بيد من
رخام دهنت بالزيت كيلا يعلق عليها أثر مما
تقبض عليه

إذا كنت نزعاً وأردت أن تحيا ، فتدرب على
القتل لأن في الخمر ما يقودك الى المشاغبة ، وإذا
كان لك ضمير فاحترس من الساعة التي تاتي فيها
رأسك على الوساد ، لأن الفاسق إذا ندم بعد فوات
الأوان يشبه مركباً احترقته مياه البحر فلايس له
عن موقفه متقدم ولا متأخر ، فلا يسير الى العباب
ولا يعود الى البر وعبثاً تدفعه الرياح إذا جذبته
الليجج ، إنه ليدور على نفسه ويفور . .

إذا كان لك جسد فاحذر الأوجاع ، وإذا كان
لك روح فاحذر القنوط ، بل احذر الناس بأسرهم ،
أيها الشقي ، فانك ما دمت سائراً في طريقك التي
تخيرت لتشهد سهلاً فسيحاً تدور عليه حلقات
الراقصين متماسكات متتابعات كدوائر الأزهار ،
ولكن ما تشهده ليس إلا سراياً خادعاً في قاحل
الصحراء

إن الناظرين الى مواطن أقدامهم يعلمون أنهم
ينسحبون على صراط ممتد فوق نهر عميق ولسكنم
تهاوى إليه السائرون فضعهم الى سكونه فانطبقت
عليهم صفحته الهادئة دون أن تتجهم

حذار أن تزل بك القدم فان الطبيعة انتراجع

الموت وأنهم الدمع من عينيه

وساد بيننا السكوت . وقرعت الساعة فذكرتني
فجأة اننى فى مثل هذا اليوم وهذه الساعة منذ سنة
تكشفت لى خيالى مخادعة خائنة

فصحت بديجته : أسمع دقات هذه الساعة ؟
أسمعها ... ؟ إننى لا أعلم بماذا تنذرني ؟ ولكننى
أشعر أنها ساعة رهيبة سيكون لها شأنها فى حياتى
وكننت أنفوه بهذه الكلمات وأنا مسلوب
الارادة مضمض الحواس ، وفتح الباب فجأة فى تلك
اللحظة نفسها ، ودخل القاعة أحد الخدم ، فأخذ
بيدى وانتحى بى إلى زاوية وأسر إلى قوله : أتيت
لأخبرك ياسيدى بأن أباك على فراش الموت فقد
أصيب بالشلل ، ولا أمل للأطباء فى حياته

الجزء الثالث

الفصل الأول

وكان والدى يقطن ضاحية قريبة من باريس .
وعند ما وصلت إلى المسكن رأيت طبيباً واقفاً أمام
الباب فقال لى : لقد وصلت متأخراً ، وكان أبوك
يتمنى لو براك للمرة الأخيرة

دخلت فإذا والدى مسجى وقد فارقه الحياة
فقلت للطبيب : أرجوك أن تبعد كل من فى الغرفة
دعنى وحدى فقد كان لوالدى ما يقوله لى ، وسوف
يقول كلمته الآن

وخرج الخدم فتقدمت إلى السرير ورفعت
الغطاء عن وجه الميت ، ولكننى ما ألقيت نظرى

عليه حتى تراميت لتقبيله فأغمى على

ولما أفتت على فراشى فى غرفة أخرى سمعت
من حولى يقولون : لا تدعوه يذهب وإن أصر .
انتظرت حتى رقد جميع من فى البيت وأخذت
مصباحاً وتوجهت إلى غرفة الميت فوجدت فيها
كاهناً نيكاً جالساً قرب السرير ، فقلت له : لا حق
لك بأن تنازع ولداً ليلة أخيرة بقضيتها قرب أبيه .
لأعلم ماذا قيل لك بشأنى غير أننى أرجوك أن تدخل
إلى الغرفة المجاورة وأنا أنخذ على عاتق كل تبعه قد
تقع عليك

ذهب الكاهن فعمدت مكانه ومددت يدى
أكشف المرة الثانية عن هذه اللامع التى قضى
على بالاً أراها بعد

وخاطبت الميت قائلاً : ماذا كنت تريد أن
تقوله لى يا أبى ؟ لقد أدركت لحاظك مفتشاً عنى قبل
انطفاء عينيك ، فما كانت فكرتك الأخيرة يا ترى ؟

وكان والدى يكتب مذكرات يدون فيها وقائع
أيامه ، وكان كتاب هذه المذكرات مفتوحاً على
الخوان فقدمت إليه وجثوت فإذا على الصفحة
الأخيرة هذه الكلمات :

(الوداع يا ولدى ... أحبك ... وأموت)

جمدت دموعى واختنقت زفراتى ، فكان يداً
شدت على عنقى وختمت على فمى . فوقفت شاخصاً
بالميت المسجى أمامى . وما كان فى حياته يجهل
ما كانت عليه حياتى ، فقد كان يشكونى إلى نفسى
ويوجه إلى التقريع ، وما اجتمعت به مرة إلا وحدثنى
عن مستقبل ، وتناول باللوم مآتى شيبابى . ولكنى
أنقذتني نصائح من تهلكة ، فقد كان لارشاده

لأننى كنت فقدت التفكير فاستغرقت فى سكرينة مطبقة . فان ماصدمت به كان من العنف والاستمرار على قوة نالت منى حتى غدوت كالسلوب تنقر أعصابه فلا يجيب

وكان خادى لا ريف شديد التعلق بوالدى ولعله كان خير الناس بعده فى تقديرى ، وكان من سنه ومن قده وبابس ما يهبه إياه من أثوابه ، وقد وخط الشيب شعره بعد أن قضى عشرين سنة فى خدمته ، فاقتبس شيئاً من حركاته

وكنيت بعد المشاء أتمشى فى الغرفة فأسمع وقع أقدام خادى يتمشى أيضاً فى الدار وما كان يدخل إلى الغرفة بالرغم من تركى الباب مفتوحاً ؛ ولسكنا كنا نلتقى من حين إلى حين فيرى أحدهما الآخر من خلال دموعه ، وهكذا كانت تمر ليالينا ، فما كنت أطالب من الخادم إشعال المصباح إلا بعد أن يكون مضى وقت طويل على غروب الشمس وكان البيت لم يزل على ترتيبه القديم ، فما زحزح الخادم ولا أما ورقة من موضعهما ، فكان مقعد والدى لم يزل قرب الموقد ، وبقي الخوان والسكنب والرياش فى مواضعها ، وكنيت أحترم الغبار الذى علا هذه الأشياء ، وعند ما كنت أرتدى مبادل أبى وأسترخى على مقعده كان يحيل إلى أن فى الجدران عيوناً ترمقنى بالحظات الاشفاق ، وأننى أسمع همساً يقول : أين مضى الوالد . . . فما يتربع على كرسيه الا اليتيم . .

ووردت إلى بعض الرسائل من باريس ، فأجبت الجميع أننى أنوى تمضية الصيف فى الضاحية وحدى جرياً على عادة أبى ، وبدأت أدرك أن فى

قوته المستمدة من فضيلته لأنه كان مثال الدعة ومكارم الأخلاق . وقد كان يتمنى لو يرانى قبل موته ليردنى عن السبيل الضلوع الذى توغلت فيه ، ولكن النية عاجلته فلم تدع له إلا كلمة واحدة يقولها ، فقال : إنه يحبى ...

الفصل الثانى

وكان قبر والدى يحوطه سور من خشب ، لأنه أراد أن يدفن فى مقبرة القرية ، فكنت أذهب كل يوم لأقضى ساعات على مقعد صغير كان موضوعاً داخل السور ثم أعود إلى المسكن الذى كان يقطنه ولا رفيق لى إلا خادم واحد

مهما فعلت أحزان الشهوات فى النفوس فما هى إلا آلام حياة ، وهل تقاس آلام الحياة بأحزان الموت ؟ إن أول ما نابذ إلى ذهنى حين وقفت إلى جنب سرير والدى الميت هو أننى ولد جاهل لا يعلم شيئاً ولا يعرف شيئاً ، وعند ما ربط الأسمى على قاي شعرت به كالم فى جسدى حتى كنت أتولى كمن أفاق من غفلة فشعر بجهله وأحس بآلامه

ومضت الشهور الأولى على فى الضاحية وأما ذاهل لا أذكر الماضى ولا أبالى بالمستقبل . فما كنت أشعر أن من عاش فيما مضى كان إيلى ، وما كان ما يستولى على فى ذلك الحين ليشبه آلام اليأس الثائر التى كانت تقبض على من قبل ، بل كان نوعاً من الجلود والتعب فكاننى كرمعت السامة فوجدت لها سرارة تتشجج لها أحشائى

وكنيت أجلس طيلة نهارى إلى كتاب أنصفحه ولا أقرأ ، بل أنظر إليه لأعيش فى أجواء تشبه العدم

كل شر بعض الخير ، وأن الآلام المظلمى مهما قيل فيها راحة عظمى ، فإذا ما تكشف المقدور لنا من علم غيب الله فانه ليصدقنا لينبئنا من غفلات الحياة ، وإذا ما تكلمت هى أسكت صوته كل صوت ، وإذا كانت الآلام الموقوتة تجدف شاكية ظلم السماء ، فان الآلام المستمرة الكبرى لا تجدف ولا تشكو بل تخضع وتنبيه لتسمع وتنى

وكنت كل صباح أف الساعات الطوال متأملاً فى مشاهد الطبيعة ، وكانت نوافذ غرفتى تطل على واد عميق يرتفع من وسطه جرس المعبد على قبابه ، فكان كل ما يمتد نظرى عليه ينم عن البساطة والفقر ، وما كانت مشاهد الربيع بأزهاره المنتفحة وأوراقه الغضة لتثير فى نفسى ما يتخيله الشعراء من التفجع ، إذ يرون فى انجلاء الحياة ابتسامة ساخرة بالموت ، ولا أرى من يقول بهذا القول إلا مغالطاً أو شاعراً بقلب لم يتكامل الشعور فيه

إن من يخرج عند بزوغ الفجر من قاعة المقامرة وقد فرغت يده يمكنه أن يشعر أن بينه وبين الطبيعة عداء ونضالا ، فهو أمام أنوار الشفق كصباح ليلة فاجرة ... ولكن ما يمكن أن تسر به الأوراق المطلة من غصون الربيع للولد المنتحب على أبيه ؟ وما دموع عينيهِ إلا أخوات الأنداء ، وهل أوراق الصفصاف نفسها إلا قطرات دموع ؟ لقد نظرت طويلاً إلى السماء والغاب والمروج ، فأدركت أن تعزية الناس للناس إنما هى تلمة من بنات الخيال ؛ وما كان لاريف ليخطر له أن يعزى نفسه أو يوجه إلى عبارات التعزية ، فقد كان هذا

الرجل يخشى أن أبيع البيت وأذهب به إلى باريس ولعله كان مطالعاً على حقيقة حياتى الماضية إذ كانت تبدو عليه دلائل القلق فى أول الأمر ، ولكنه عند ما رآنى أعد المنزل لأقيم فيه شعرت بنفوذ نظرائه إلى أعماق قلبى ، وكان ذلك يوم استحضرت من باريس صورة كبيرة لأبى علقمها على جدار غرفة الطعام ، ولما دخل لاريف ورأى هذه الصورة أخذه الدهول وبدأ ينقل نظرائه من رسم والدى إلى وجهى وفى هذه النظرات من تساوى الحزن والفرح ما يصعب التعبير عنه ، فكانه كان يقول لى : يا للسعادة ، لسوف نستغرق بسكون فى حزننا

ومددت له يدي فأوسمها تقبيلاً ، وكان هذا الخادم يعنى بأحزان سيده كأنها سيدة أحزانه ، وكنت كلما ذهبت فى الصباح إلى القبر أرى أنه سبقنى إليه وسقى أزهاره لينسحب عند وصولي ويخلى لى المكان

وكان يتبعنى عند ما أمتطى جوادى وأذهب متزهاً فى الغاب ، فأراه قد أطل على فى الوادى ماشياً يحير ورأى وهو يمسح عرق جبينه لاهثاً ، فاشتريت له فرساً من أحد الفلاحين ، وهكذا أصبحنا كلانا نذهب متجولين فى الغاب

وكان فى القرية من معارف أبى من كانوا يزورونه أحياناً ، ولكننى اضطررت إلى قفل بابى دون كل زائر وإن صعب ذلك على ، فإكان لى جلد على مقابلة أحد

وفكرت يوماً أن أطلع على أوراق والدى ، فقدمها لى لاريف بيد خاشعة مرتجفة . ففك رباطها ونثرها أمامى ، وما تلوت الصفحات الأولى منها

فكنت أتبع في الطعام والقراءة والتنزه الخطة التي اتبناها هو فتعمدت الحياة الهادئة المنظمة تدخل الطعام أئنة إلى قاي طول نهاري ، حتى إذا جاء المساء رقدت مستكناً وأنا أشعر بالغبطة حتى في أحزاني

وكان والدي شديد الميل إلى العمل في الحديقة فيوزع أوقاته بمد حرثها توزيعاً متساوياً بين المطالعة والتنزه فيعطى لقلبه ولجسده ما يحق لكل منهما واقتديت بأبي أيضاً في أعمال البر متممها ما بدأ به فكنت أذهب مفتشاً عن من أتمكن من مدي المساعدة لهم ، وعددهم وفير في الوادي حتى اشتهرت بينهم . وهكذا لأول مرة في حياتي شعرت بالسعادة فليس كالرحمة ما يطهر الأحران ويقدمها . فقد بارك الله دموعي فتعلمت الفضيلة من الآلام ...
(يتبع)
فليكس فارس

حتى شعرت بانتماش كأن نسجت عليّ هبت على من جوانب بحيرة صافية ساكنة ؛ وكنت كلما قلبت صفحة ونفضت عنها غبار الزمان ، عبت منها كالعطر حياة أبي تتوالى يوماً بعد يوم ، فأعد فيها خفقان فؤاده وأستعرض وقائعها كقول مساع كلهما جيد ، وقد نبئت في كل جوانبها أزاهر العطف والتبل ، وتمازجت ذكريات حياته بتذكّار موته ، فكنت أتبع هذه الحياة تتحدّر كالجدول الصافي نحو بحر الموت

وهتفت في صمتي : أيها الرجل الصالح الذي لم يعرف الخوف ولم يتدنس باثوم السكم كنت طاهراً في جهادك ، ومخلصاً في ولائك ، ووفياً في حبك لزواجك أي ، السكم كنت معجباً بالطبيعة ، ومتعبداً لربك ، فحسرت في هذه العواطف كل حياتك ، ولم تدع أسوانها منفذاً إلى قلبك ، فما كانت التلوج على أعلى الجبال بأني من ناصع شيبك في شيوخوختك الصالحة ، ألقى هذا الشيب على رأسي يا أبي فان فيه من الشيبية ما ليس على شمري الذهبي . هبني أن أعيش كما عشت أنت وأن أموت كما مت ، فأنني أريد أن أغرس في التراب الذي يواريك غصناً ناضراً لحياتي الجديدة فأسقيه من دموعي والله راعي كل يتيم ، ينمو هذا الغرس المقدس ليظلل أوجاع ولد وتذكّار شيوخ ...

وبعد أن اطلمت على الأوراق جميعها ، قررت أن أدون أما تذكّرات أبي فأعددت لها كتاباً على مثال كتاب والدي ، وبدأت بالسير على آثاره وطبع حياتي على غرار حياته . فكانت الساعة كلما دقت تذكّرني بحركة من حركات أبي وسكنة من سكناته

مكافأة

لمه برل على القاتل

تعطى مجلة « الرواية » مكافأة وقدرها ٥ جنيهات لمن يدل على القاتل في القضية المشار إليها في « يوميات نائب في الأرياف » للكاتب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم التي تنشرها المجلة تباعاً على أن تصل الردود إلى المجلة قبل أول يولييه مع بيان الأدلة بوضوح وإيجاز